

الخصائص البلاغية والفنية للجملة في الحديث النبوي الشريف: دراسة تطبيقية على

أحاديث مختارة من باب الفتن في صحيح مسلم

***The Rhetorical and Artistic Characteristics of the Sentence in the Prophetic Hadith: An Applied Study on Selected Traditions from the Book of Tribulations (Kitab al-Fitan) in Sahih Muslim***

**Dr. Yahya Khan**

Assistant Professor of Arabic, Department of Islamic and Arabic Studies, University of Swat, Pakistan.

Email: yahya@uswat.edu.pk

**Mr. Fazal Alam (Corresponding Author)**

MPhil Scholar of Arabic, Department of Islamic and Arabic Studies, University of Swat, Pakistan.

Email: fazalalam52@gmail.com

**Abstract**

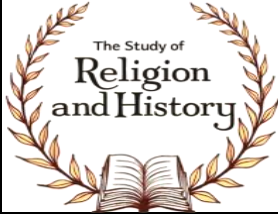
*This study aims to examine the rhetoric of sentence structure in the Prophetic traditions (Hadiths) through an analytical study of selected Hadiths on tribulations (fitan) narrated in Sahih Muslim. The research adopts a descriptive, analytical, and applied methodology, focusing on declarative and imperative sentence structures, as well as rhetorical devices such as emphasis, restriction, and repetition, and their role in constructing meaning and achieving persuasive impact. The study reveals that the Prophetic sentence is characterized by remarkable structural precision and rhetorical depth. Declarative sentences are predominantly used to establish unseen truths and future events, while imperative and interrogative forms serve purposes of guidance, warning, and moral instruction. The analysis also highlights the significant role of emphasis and restriction in reinforcing meanings, eliminating doubt, and directing the audience toward proper understanding and conduct during times of tribulation.*

*The findings confirm that sentence rhetoric constitutes an essential aspect of the linguistic and rhetorical miracle of the Prophetic tradition.*

**Keywords:** Sentence rhetoric, Prophetic eloquence, Hadith of tribulations, rhetorical analysis, linguistic miracle.

**المقدمة:**

الحمد لله الذي أنزل كتابه بلسان عربي مبين، وجعل سنة نبيه صلى الله عليه وسلم بياناً وشرحاً وتفصيلاً لما أنزل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي أوتي جوامع الكلم، فكان كلامه في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد؛ فإن البلاغة النبوية تمثل ميداناً خصباً للدراسات اللغوية والبلاغية، لما تتسم به من دقة في التعبير، وإحكام في البناء، وعمق في الدلالة. وإذا كانت الكلمة هي اللبنة الأولى في تكوين الخطاب، فإن الجملة هي الوحدة التي تتجلى فيها العلاقات البلاغية بصورة أوضح، حيث تتفاعل عناصر المعنى والتركيب والأسلوب لتؤدي وظائف متعددة من إخبار، وتوكيد، وإنذار، وتوجيه، وتأثير. وتُعد أحاديث الفتن من النصوص النبوية التي تتجلى فيها بلاغة الجملة بوضوح بالغ، لما تتضمنه من أخبار غيبية، وتحذيرات تربوية، وتوجيهات عملية، مما يقتضي تنوعاً في الأساليب بين الجمل الخبرية والإنشائية، وتوظيفاً دقيقاً لوسائل التوكيد والقصر والاستفهام والتكرار. ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتتناول خصائص الجملة في أحاديث الفتن، وتحلل بنيتها البلاغية، وتكشف عن أسرار اختيار الأساليب النبوية ودورها في ترسيخ المعنى وإحداث الأثر المقصود في المتلقي.



### أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. دراسة بلاغة الجملة في الأحاديث النبوية وبيان خصائصها الأسلوبية والدلالية .
2. تحليل الجمل الخبرية والإنشائية في أحاديث الفتن والكشف عن وظائفها البلاغية .
3. إبراز أثر وسائل التوكيد والقصر والتكرار في تقوية المعنى وترسيخه .
4. الكشف عن العلاقة بين البناء التركيبي للجملة والمقصد النبوي في التحذير والتوجيه والتربية .
5. إظهار جانب من الإعجاز البياني في السنة النبوية من خلال دراسة تطبيقية على نصوص مختارة من صحيح مسلم .

### أهمية الموضوع:

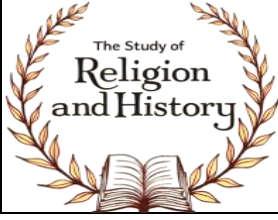
تكمن أهمية هذا الموضوع في عدة جوانب، من أبرزها:

1. الأهمية العلمية والبلاغية: إذ يسهم في إثراء الدراسات المتعلقة ببلاغة الحديث النبوي، وخاصة في مجال تحليل الجملة بوصفها وحدة دلالية متكاملة .
2. الأهمية الدينية والتربوية: من خلال فهم أعمق للمقاصد النبوية في أحاديث الفتن، وما تحمله من توجيهات للأمة في أزمنة الاضطراب .
3. الأهمية اللغوية: إذ يكشف عن جماليات التركيب العربي في السنة النبوية، ودقة استعمال الجمل الخبرية والإنشائية بحسب المقام .
4. الأهمية التطبيقية: حيث يقدم نموذجًا عمليًا لتحليل النصوص الحديثية بمنهج بلاغي تطبيقي يمكن الاستفادة منه في دراسات مشابهة .

### منهج البحث:

اعتمدنا في هذا المقال المنهج الوصفي التحليلي التطبيقي، مع الاستفادة من المنهج الاستنباطي في استخلاص الدلالات البلاغية. فمن الجانب الوصفي، قمنا الباحث بتحديد مفهوم بلاغة الجملة، وبيان أنواعها الأساسية من الجمل الخبرية والإنشائية، ووسائل التوكيد والقصر المرتبطة بها. ومن الجانب التحليلي، تناولنا مجموعة من الأحاديث الواردة في باب الفتن من صحيح الإمام مسلم، وحلل الجمل الواردة فيها من حيث بناؤها النحوي والبلاغي، مع التركيز على وظائفها الدلالية مثل الإخبار، والتحذير، والإرشاد، والتقرير. أما الجانب التطبيقي، فقد ظهر من خلال عرض نصوص الأحاديث كاملة، ثم استخراج الجمل ذات الأهمية البلاغية وتحليلها في ضوء السياق، مع بيان أثر التوكيد، والاستفهام، والتكرار، والقصر في توجيه المعنى وتقوية التأثير. كما استفدنا من المنهج الاستنباطي في استنتاج الأسرار البلاغية والغايات التربوية والعقدية الكامنة وراء اختيار هذه التراكيب والجمل في الخطاب النبوي.

### 1- الحديث:



حدثني أبو كامل الجحدري، فضيل بن حسين. حدثنا حماد بن زيد. حدثنا عثمان الشحام قال: انطلقت أنا وفرقد السبخي إلى مسلم بن أبي بكر، وهو في أرضه. فدخلنا عليه فقلنا: هل سمعت أباك يحدث في الفتن حديثاً؟ قال: نعم. سمعت أبا بكر يحدث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها. والماشي فيها خير من الساعي إليها. ألا، فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله. ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه. ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه" قال فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال "يعمد إلى سيفه فيدق على حده بججر. ثم لينج إن استطاع النجاء. اللهم! هل بلغت؟ اللهم! هل بلغت؟ اللهم! هل بلغت؟" قال فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصنفين، أو إحدى الفئتين، فضرني رجل بسيفه، أو يجي سهم فيقتلني؟ قال "يبوء بإثمه وإثمك. ويكون من أصحاب النار".<sup>1</sup>

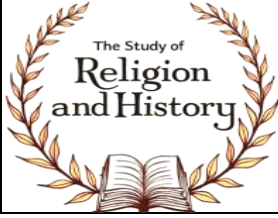
### الخصائص البلاغية والفنية للجملة في الحديث:

يُنظَّم هذا الحديث النبوي في بناءٍ بلاغيٍّ محكم، تتداخل فيه الأساليب الخبرية والإنشائية، وتتساند فيه وسائل التوكيد مع أساليب القصر، بما يخدم المقصد التداولي الأعلى للخطاب، وهو التحذير من الفتن وبيان الموقف الشرعي والأخلاقي منها. يُستهل الخطاب بقوله ﷺ "إنما ستكون فتن"، وهي جملة خبرية مؤكدة بـ«إن»، تفيد الجزم بوقوع المخبر به ونفي احتمال الشك عنه. يقول ابن يعيش في شرح المفصل: "إنما-إن- تؤكِّد مضمون الجملة وتحققه، : "فإن قول القائل: "إن زيداً قائمٌ" ناب مناب تكرير الجملة مرتين، إلا أن قولك: "إن زيداً قائمٌ" أوجز من قولك: "زيد قائم زيد قائم"، مع حصول الغرض من التأكيد. فإن أدخلت اللام، وقلت: "إن زيداً لقائمٌ"، ازداد معنى التأكيد، وكأنه بمنزلة تكرار اللفظ ثلاث مرات.<sup>2</sup>

ولعل الداعي إلى التوكيد في هذا المقام هو أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يظهر اعتناؤه بتحقيق مضمون هذا الكلام، لأن لا يخطر ببال المخاطب شك أو ريب في عدم تحققه، وليرزب كل الشكوك والأوهام من أول وهلة، وليثبت أن تحقيق ذلك الأمر أمر مقضي وأنه سيقع لا محالة. فالتوكيد جاء ليقرر المعنى في نفس المخاطبين وليلفت أنظارهم إلى مدلول تحتوي عليها تلك الجملة المؤكدة، وإن لم سبقه إنكارهم.

واختيار الفعل المضارع المقترن بالسين يدل على الاستقبال مع استحضر صورة الوقوع، وكأن الفتن ماثلة أمام المخاطبين، لا مجرد أمر بعيد محتمل. فإن "السين" من مؤكدات الجملة الفعلية، تدخل على المضارع فتخلصه للاستقبال، وتزيل عنه العموم الذي كان فيه يقول الإمام الزركشي في البرهان: "السين التي للتنفيس قال سيبويه في قوله تعالى: "فسيكفيكم الله"<sup>3</sup> معنى السين: أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين. وجرى عليه الزمخشري فقال في قوله تعالى: "أولئك سيرحهم الله"<sup>4</sup> السين تفيد وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك: "سأنتقم منك يوماً" يعني: أنك لا تفوتني وإن تباطأت.<sup>5</sup> فلذلك يمكن أن يستفاد من قوله -صلى الله عليه وسلم- أنه لم يرد به الإخبار المجرد، بل ليتجاوز كلامه إلى غرض بلاغي تحذيري إنذاري، يهيئ نفس السامع لتلقي ما بعده من توجيهات. وهذا الأسلوب الخبري لا يراد به الإخبار المجرد، بل يتجاوز ذلك إلى غرض بلاغي تحذيري إنذاري، يهيئ نفس السامع لتلقي ما بعده من توجيهات.

ثم تتابع الجملة الخبرية في قوله ﷺ: "القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها" حيث يقوم البناء البلاغي على المفاضلة والتدرج، وهو تدرج مقصود من حيث شدة التلبس بالفتنة. فالخطاب لا يكتفي بإطلاق حكم عام، بل يعمد إلى ترتيب الأحوال ترتيباً تصاعدياً، يرسخ المعنى في الذهن ويجعل السامع يقيس موقعه من الفتنة قياساً دقيقاً. وبلاغياً، فإن هذا



الأسلوب الخبري يفيد التقرير والتقويم، لا سيما مع تكرار لفظ «خير» الذي يعتمق دلالة المفاضلة ويجعلها أشبه بالحكم الكلي المستقر. ويتخلل هذا النسق الخبري انتقالاً واضح إلى الأسلوب الإنشائي، ولا سيما الإنشاء الطلبي في صيغة الأمر، كما في قوله ﷺ: "فليلحق بإبله... فليلحق بغنمه... فليلحق بأرضه" فالأمر هنا خرج عن معناه الأصلي (الإلزام) إلى غرض بلاغي هو الإرشاد والنصح، وهو ما ينسجم مع مقام الفتنة التي يكثر فيها الاشتباه، فيحتاج الخطاب إلى توجيه عملي مباشر. وتكرار صيغة الأمر مع تنوع المتعلق يوحي بشمول التوجيه لجميع طبقات الناس، ويؤكد مبدأ العزلة الإيجابية بوصفها سبيل النجاة.

ويبلغ الأسلوب الإنشائي ذروة بلاغته في قوله ﷺ "يعمد إلى سيفه فيدق على حده بججر"، حيث تتجاوز الجملة مجرد النهي عن القتال إلى تصوير كراهية المشاركة في الفتنة تصويراً حسياً قوياً، إذ يُطلب تعطيل آلة القتال ذاتها. وهذا من أبلغ أساليب الزجر، إذ ينتقل الخطاب من المجرد إلى المشهدي، فيغدو المعنى أشد رسوخاً في النفس.

أما قوله ﷺ: "اللهم هل بلغت؟" المكرر ثلاث مرات، فهو استفهام إنشائي غير طلبي، خرج عن معناه الحقيقي إلى التقرير وإقامة الحجة. والتكرار هنا ليس تكراراً لفظياً محضاً، بل هو توكيد تداولي يقصد به إشهاد السامعين على تمام البلاغ، وإظهار عظم المسؤولية الملقاة على عاتق المخاطبين بعد هذا البيان النبوي المفصل.

وفي جانب التوكيد، تتضافر في الحديث عدة وسائل بلاغية، منها التوكيد اللفظي بـ«إن»، والتوكيد المعنوي بالتكرار، والتوكيد السياقي بالتدرج والمقابلة بين القاعد والمأشي والساعي. وكل ذلك يعكس خطورة الموضوع، ويؤكد أن الفتنة ليست مسألة هامشية، بل قضية مصيرية تمس أصل الدين وسلامة النفس.

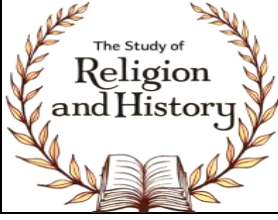
وأما بلاغة القصر، فتتجلى في أكثر من موضع. فمن ذلك القصر المستفاد من صيغة التفضيل في قوله ﷺ "القاعد فيها خير من المأشي فيها"، حيث يقصر الخير الأكمل على القعود عن الفتنة، قصرًا ادعائياً يراد به الحث والمبالغة، لا نفي الخير عن غيره نفيًا مطلقًا. كما يظهر القصر السياقي في توجيه النبي ﷺ إلى العزلة وترك المشاركة، إذ يُفهم من مجموع السياق أن النجاة لا تكون إلا بسلك هذا المسلك، وإن لم يُصرح بأداة قصر نحوية. ويبرز القصر المعنوي كذلك في قوله ﷺ "يبوء بإثمته وإثمك"، إذ يُحمل الإثم الكامل على القاتل والمكره، في مقابل تبرئة المكره من تبعة الفعل، وهو قصر مقصود لتحقيق العدل المعنوي، وتسكين نفس المظلوم، ورفع الحرج عنه.

وخلاصة القول، فإن الحديث يقوم على بناء بلاغي متماسك، تتعاقب فيه الجملة الخبرية المؤكدة مع الإنشاء الموجّه، ويتكامل فيه التوكيد مع القصر، ليؤدي الخطاب النبوي وظيفته الإقناعية والتربوية في أعلى درجاتها، محققاً مقصدًا شرعياً وبلاغياً واحداً، هو صيانة الدين والنفس زمن الفتنة، وترسيخ مبدأ السلامة والاعتزال بوصفه الخيار الأقوى عند اختلاط الحق بالباطل.

## 2- الحديث:

عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن الله زوى لي الأرض. فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة. وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم. فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد. وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة. وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم. يستبيح بيضتهم. ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضها، ويسبي بعضهم بعضاً".<sup>6</sup>

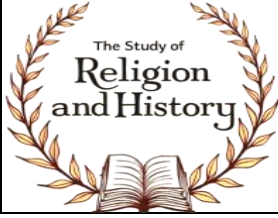
الخصائص البلاغية والفنية للجملة في الحديث:



يقدم هذا الحديث النبوي بناءً بلاغيًا بالغ الإحكام، تتداخل فيه الأخبار الغيبية مع المقاصد التداولية، ويؤسّس فيه الأسلوب الخبري المؤكّد بوصفه الأداة الأبرز لترسيخ الحقائق العقديّة والسياسية المتعلقة بمصير الأمة، مع توظيف دقيق لأساليب القصر لإبراز حدود القوة وحدود الابتلاء. يهيمن الأسلوب الخبري على مجمل الحديث، ويظهر ذلك منذ الاستهلال بقوله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها». فالجملة خبرية مؤكّدة بلفظ «إن» والغرض البلاغي منها ليس مجرد الإخبار عن واقعة خاصة بالنبي ﷺ، بل تقرير منزلة نبوية مخصوصة، وإظهار امتداد الرؤية الكونية بوصفها تمهيدًا لما سيترتب عليها من إخبار عن مستقبل الأمة. والفعل الماضي «زوى» يفيد التحقيق والقطع، بينما عطف الرؤية عليه بالفاء في «فرأيت» يوحي بسرعة الانتقال من الفعل الإلهي إلى المشاهدة النبوية، بما يعمّق الإحساس بصدق الخبر وقوته. ويتأكد الطابع الخبري في قوله ﷺ: «وإن أمّتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها»، حيث اجتمع التوكيد بـ«إن» مع دلالة الاستقبال في «سيبلغ»، فكان في ذلك جمع بين الجزم بالوقوع واستحضار زمن الامتداد المستقبلي. وهذا الأسلوب الخبري يؤدي وظيفة تقريرية ذات بعد بشاري، لكنه في الوقت نفسه يضم معنى التقييد، إذ جعل بلوغ الملك محصورًا في حدود ما زوى للنبي ﷺ، وهو ما يفتح الباب أمام دلالة القصر المستفادة من السياق.

ثم يرد قوله ﷺ: «وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»، وهو خبر بصيغة المبني للمجهول، والعدول عن إسناد الفعل إلى الله تعالى صراحة هنا يفيد تعظيم المعطى وتعظيم العطاء معًا، ويجعل التركيز البلاغي منصبًا على نفس النعمة وآثارها في الواقع التاريخي، لا على مجرد الإخبار بالفعل. ويستمر النسق الخبري في قوله ﷺ: «وإني سألت ربي لأمتي...»، حيث تتداخل الجملة الخبرية مع بعد إنشائي غير مباشر، يتمثل في عرض الدعاء في قالب الخبر. فالجملة خبرية من حيث الصياغة، إنشائية من حيث المعنى التداولي، إذ تنقل مضمون الطلب والدعاء دون أن تأتي بصيغة الأمر أو النداء. ويظهر التوكيد هنا مجددًا بـ«إن»، مما يعكس عناية خاصة بما سأل النبي ﷺ ربه لأمته، ويهيئ المتلقي لتلقي جواب إلهي ذي دلالة حاسمة. أما جواب الله تعالى: «يا محمد! إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد»، فيقوم على جملة خبرية مؤكّدة توكيدًا مركبًا، حيث اجتمع النداء للتشريف والتنبيه، مع «إن» الشرطية، ومع الفاء الرابطة في جواب الشرط، فكان في ذلك تقرير لقاعدة عقديّة كلية تتجاوز سياق الحديث الجزئي. وهذه الجملة تمثل ذروة التوكيد البلاغي، إذ تُغلق باب التوهم أو التردد في نفاذ القضاء الإلهي. وتبرز بلاغة القصر في الحديث بوضوح في أكثر من موضع، من ذلك القصر المستفاد من السياق في قوله ﷺ: «وإن أمّتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها»، حيث يُقصر امتداد الملك على حدود معينة، لا يتجاوزها مهما بلغ من القوة. فهذا قصر إضافي يراد به نفي التوهم بأن الملك مطلق بلا حدود، مع الإبقاء على أصل البشارة بالتمكين. كما يظهر القصر في قوله ﷺ: «أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم»، حيث فُصرت أسباب الهلاك الشامل والاستباحة الخارجية على عامل واحد هو الصراع الداخلي. ويتأكد هذا القصر في الخاتمة بقوله ﷺ: «ولو اجتمع عليهم من بأقطارها... حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا» إذ يُبنى المعنى على قصر الهلاك الحقيقي على التنازع الداخلي، لا على اجتماع الأعداء الخارجيين، وهو قصر معنوي بالغ القوة، يتجاوز الصياغة النحوية إلى الدلالة الحضارية والسياسية.

ومن حيث التوكيد، يتكرر مضمون العطاء الإلهي مرتين بصياغتين متقاربتين، وهو تكرار مقصود يراد به تثبيت الوعد وقطع احتمال النسخ أو التراجع. كما أن الجمع بين النفي والإثبات في الدعاء والاستجابة يمثل أعلى درجات التوكيد المعنوي، إذ يُنفى الهلاك العام، ويثبت الابتلاء الجزئي، فيتوازن الخطاب بين الطمأنة والتحذير.



وخلاصة التحليل أن الحديث يعتمد اعتماداً شبيه كلي على الجملة الخبرية المؤكدة، لا لقصور الأسلوب الإنشائي، بل لأن المقام مقام تقرير سنن كونية وقوانين إلهية في مصير الأمم. وتأتي بلاغة القصر فيه لتضبط أفق الفهم، فتمنع الإفراط في التفاؤل أو التشاؤم، وتؤسس لرؤية متوازنة ترى التمكين نعمة، وترى التنازع الداخلي أخطر أسباب الانهيار.

### 3- الحديث:

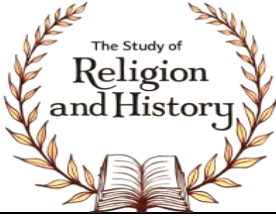
حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعلي بن حجر. كلاهما عن ابن علي (واللفظ لابن حجر). حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن أبي قتادة العدوي، عن يسير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة. فجاء رجل ليس له هجيرى إلا: يا عبد الله بن مسعود! جاءت الساعة. قال فقعد وكان متكئا. فقال: إن الساعة لا تقوم، حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة. ثم قال بيده هكذا (ونحاهما نحو الشام) فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام. قلت: الروم تعني؟ قال: نعم. وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة. فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبية. فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل. فيفيء هؤلاء وهؤلاء. كل غير غالب. وتنفى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شرطة للموت. لا ترجع إلا غالبية. فيقتلون حتى يمسا. فيفيء هؤلاء وهؤلاء. كل غير غالب. وتنفى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شرطة للموت. لا ترجع إلا غالبية. فيقتلون حتى يمسا. فيفيء هؤلاء وهؤلاء. كل غير غالب. وتنفى الشرطة. فإذا كان يوم الرابع، نهد إليهم بقية أهل الإسلام. فيجعل الله الدبرة عليهم. فيقتلون مقتلة - إما قال لا يرى مثلها، وإما قال لم يرمثلها - حتى إن الطائر ليمر بجناحهم، فما يخلفهم حتى يخر ميتا. فيتعاد بنو الأب، كانوا مائة. فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد. فبأي غنيمة يفرح؟ أو أي ميراث يقاسم؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا بئس، هو أكبر من ذلك. فجاءهم الصريخ؛ إن الدجال قد خلفهم في ذرايعهم. فيرفضون ما في أيديهم. ويقبلون. فيبعثون عشرة فوارس طليعة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني لأعرف أسمائهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم. هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ. أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ"<sup>7</sup>.

### الخصائص البلاغية والفنية للجملة في الحديث:

ينكشف هذا الحديث الطويل عن بناء بلاغي معقد، تتجاوز فيه مستويات متعددة من الخطاب، ويتداخل فيه الخبر الغيبي مع التصوير المشهدي، ويوظف فيه الأسلوب الخبري المؤكد بوصفه الأداة المركزية لنقل سنن كونية وأحداث مستقبلية كبرى، مع حضور لافت لبلاغة القصر بوصفها أداة ضبط دلالي تمنع التوهم وسوء الفهم.

يبدأ السياق بجملة خبرية سردية: "هاجت ريح حمراء بالكوفة"، وهي جملة خبرية خالية من أدوات التوكيد، لأن المقام مقام نقل مشهد محسوس مشترك بين الراوي والسامعين، فلا حاجة إلى تقوية الخبر. غير أن هذه البساطة الأسلوبية تؤدي وظيفة بلاغية تمهيدية، إذ تهيئ الجو النفسي للانتقال من الحدث الطبيعي إلى التفسير الغيبي.

ثم يأتي قول الرجل: "جاءت الساعة"، وهو خبر في الصيغة، غير أنه يحمل معنى الانفعال والتهويل، لا التقرير العلمي. ويقابله مباشرة ردّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: "إن الساعة لا تقوم"، وهي جملة خبرية مؤكدة بـ«إن»، دالة على الجزم والقطع، وفيها انتقال مقصود من الانفعال إلى الضبط العلمي. والنفي هنا ليس نفيًا مطلقًا لقيام الساعة، وإنما نفي لقيامها في ذلك الظرف، وهو ما يتضح من السياق اللاحق، مما يبرز دقة التوجيه البلاغي في استعمال النفي.



ويتلو ذلك قوله: "حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة"، حيث يرد أسلوب الغاية بـ«حتى»، وهو أسلوب خبري يفيد التحديد والتقييد. وبلاغيًا، فإن تعليق قيام الساعة على انتفاء مظاهر دنيوية كقسمة الميراث والفرح بالغنيمة يحقق قصرًا معنويًا، إذ يفهم منه أن تحقق هذه العلامات شرط لازم قبل تصور قرب الساعة، وهو قصر مستفاد من السياق لا من أداة نحوية صريحة.

ثم ينتقل الخطاب إلى تصوير المواجهة العسكرية بقوله: "عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام"، وهي جملة خبرية قائمة على المقابلة، إذ تكررت البنية التركيبية مع اختلاف الطرفين، مما يحقق توازنًا إيقاعيًا ودلاليًا. وهذا التوازي البلاغي يعمق الإحساس بتكافؤ الاستعداد قبل أن يُفضي ذلك إلى شدة القتال.

ويتأكد الطابع الخبري في قوله: "وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة"، حيث جاء الفعل بصيغة المضارع الدال على الاستقبال، دون تأكيد لفظي، لأن المقام قد تمهياً ذهنيًا لقبول الخبر بما سبقه من تمهيد. ويلاحظ أن الحديث يعتمد في هذا المقطع على التراكم الخبري المتتابع، وهو أسلوب مقصود لتصوير تدرج الأحداث لا لإحداث صدمة مفاجئة.

ويبلغ التصوير البلاغي ذروته في تكرار قوله: "فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبية"، حيث تتجلى بلاغة القصر بوضوح من خلال أسلوب الاستثناء. فقوله: "لا ترجع إلا غالبية" قصر حقيقي إضافي، فُصرت فيه العودة على حالة واحدة هي الغلبة، مما يعكس منتهى الحزم والتضحية. ويؤكد هذا القصر تكرار الجملة ثلاث مرات، وهو تكرار بلاغي يراد به تصوير الاستنزاف التدريجي وشدة الابتلاء، لا مجرد إعادة لفظية.

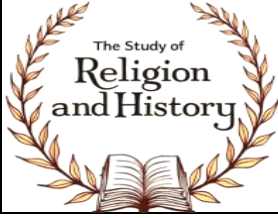
كما يظهر التوكيد المعنوي في تكرار العبارات: "فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة"، إذ إن هذا التكرار المتعاقب يرسخ في ذهن المتلقي معنى الاستعصاء والتعادل الدموي، ويجعل النصر النهائي مؤجلاً إلى تدخل إلهي مباشر، لا نتيجة لقوة بشرية مجردة.

ثم يأتي قوله: "فيجعل الله الدبرة عليهم"، وهي جملة خبرية قصيرة مكثفة، أُسند فيها الفعل مباشرة إلى الله تعالى، وفي ذلك قصر سببي واضح، إذ يُقصر تحقق النصر الحاسم على الفعل الإلهي وحده، بعد عجز الأسباب البشرية. ويتعزز هذا القصر بما يليه من وصف المقتلة وصفاً يفوق المألوف: "حتى إن الطائر ليمر بجنايتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً"، وهو أسلوب خبري أريد به المبالغة التصويرية، لا التقرير الحرفي، لما فيه من تحويل يراد به إظهار عظم الحدث.

ويتجلى القصر مرة أخرى في قوله: "فبأي غنيمة يفرح؟ أو أي ميراث يقاسم؟"، وهو استفهام إنشائي خرج عن معناه الحقيقي إلى الإنكار، يفيد نفي وجود أي غنيمة حقيقية أو ميراث ذي معنى. وهذا الأسلوب يجمع بين الإنشاء والقصر، إذ يُقصر حالة ما بعد القتال على الفقد المطلق، وينفي كل مظاهر المكاسب الدنيوية.

ويُختتم الحديث بجملة نبوية شديدة التوكيد: "إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم"، حيث اجتمع التوكيد بـ«إن» واللام المزحلقة، وهو أعلى درجات التوكيد في الخبر. والغرض البلاغي هنا توثيق المعرفة النبوية بالغييب الجزئي بإعلام الله، تمهيداً للحكم القيمي في قوله: "هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس"، وهو قصر تفضيلي يفهم منه اختصاص هذه الفئة بدرجة عالية من الخيرية العسكرية في ذلك الظرف الزمني الخاص.

وخلاصة القول، فإن الحديث يقوم بلاغياً على سيطرة الجملة الخبرية المؤكدة، لأن المقام مقام إخبار غيبي وتقدير سنن مستقبلية، مع توظيف محسوب للأسلوب الإنشائي عند الإنكار والتعجب، واستثمار واسع لبلاغة القصر، سواء بالقصر الصريح بالاستثناء، أو



القصر السياقي، أو القصر التفضيلي. وكل ذلك يخدم مقصدًا واحدًا هو تثبيت المعنى في الذهن، وربط حركة التاريخ بإرادة الله، لا بمجرد التفوق البشري.

#### 4- الحديث:

عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر. فقال "ما تذاكرون؟" قالوا: نذكر الساعة. قال "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات". فذكر الدخان، والدجال، والداية، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، ويأجوج ومأجوج. وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم<sup>8</sup>

#### الخصائص البلاغية والفنية للجملة في الحديث:

يتأسس هذا الحديث النبوي على بناء بلاغي دقيق يجمع بين الانتقال السياقي من المحاورة إلى التقرير الغيبي، وبين توظيف محسوب للجملة الخبرية المؤكدة بوصفها الأداة الرئيسة لإرساء الحقائق الكبرى المتعلقة بعلامات الساعة، مع حضور لافت لبلاغة القصر التي تضبط أفق التلقي وتمنع التوسع غير المنضبط في تصور قيامها.

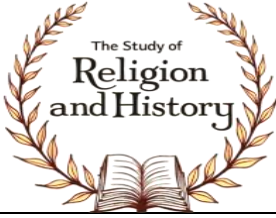
يفتح السياق بجملة خبرية حالية: "اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر"، وهي جملة سردية تقريرية خالية من أدوات التوكيد، لأن المقام مقام حكاية واقعة مشاهدة لا مجال للارتياح فيها. ثم يعقبها قوله ﷺ: "ما تذاكرون؟"، وهو استفهام إنشائي طلي، لا يراد به طلب العلم، وإنما يفيد التشويق والتنبيه، ويهيئ السامعين للانتقال من التداول البشري إلى البيان النبوي المعصوم. ويأتي جواب الصحابة: "نذكر الساعة" في صورة جملة خبرية موجزة، تعكس بساطة الموضوع المطروح، لتقابلها مباشرة الجملة المحورية في الحديث: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات". وهذه جملة خبرية مؤكدة توكيدًا قويًا باجتماع «إن» مع النفي «لن»، وهو نفي مؤكد للاستقبال، يفيد القطع والجزم بعدم قيام الساعة قبل تحقق أمر معين. كما أن تعليق النفي بأداة الغاية «حتى» يدخل الجملة في نطاق القصر السياقي، إذ يُفهم منه قصر قيام الساعة على حالة مخصوصة هي تحقق هذه الآيات العشر، لا مجرد وقوع بعض العلامات أو مظاهر الاضطراب.

ويلاحظ أن هذا الخبر لا يراد به مجرد الإخبار الزمني، بل أداء وظيفة بلاغية تربوية تتمثل في تصحيح التصورات، وإغلاق باب التهويل والتسرع في ادعاء قرب الساعة دون ضوابط نصية واضحة.

ثم ينتقل الحديث إلى تعداد العلامات بقوله: "فذكر الدخان، والدجال، والداية...". حيث يستمر الأسلوب الخبري في صورة تعداد اسمي، وهو أسلوب يتسم بالحيد البلاغي المقصود، إذ إن الغاية هنا الإحاطة لا الإثارة. غير أن هذا التعداد نفسه يؤدي دورًا توكيديًا من حيث المعنى، لأن حصر العلامات في عدد معين مع ذكرها مفصلة يرسخ في الذهن أنها علامات كبرى فاصلة، لا إشارات عامة محتملة.

ويتأكد هذا المعنى في ذكر "ثلاثة خسوف" مع تعيين أمكنتها: المشرق، والمغرب، وجزيرة العرب، إذ إن التحديد المكاني بعد الإجمال العددي يمثل توكيدًا بيانيًا، ينتقل فيه الخطاب من الجمل إلى المفصل، وهو من أقوى أساليب التثبيت في علم المعاني.

وتبلغ بلاغة القصر ذروتها في قوله ﷺ: "وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم"، حيث يتحقق قصر ترتيبي مستفاد من لفظ آخر، إذ يُقصر خاتمة الآيات على هذه العلامة دون غيرها. وهذا القصر ليس نحويًا صريحًا، لكنه قصر دلالي سياقي، يضبط تسلسل الأحداث ويمنع الخلط في ترتيبها الزمني.



ومن جهة التوكيد، يلاحظ خلو الحديث من الإكثار من أدوات التوكيد اللفظي، وهو خلو مقصود، لأن اجتماع «إنَّ» و«لن» في الجملة المحورية كافٍ لتثبيت المعنى، وما بعده تفصيل وتقرير. وهذا من دقة البناء البلاغي، إذ لا يُثقل النص بالتوكيد حيث لا تدعو الحاجة.

وخلاصة القول، إن الحديث اعتمد بلاغيًا على الجملة الخبرية المؤكدة لإرساء حقيقة عقديّة غيبية، واستثمر الأسلوب الإنشائي في مطلع الخطاب بوصفه أداة تمهيد وتشويق، ثم فَعَلَ بلاغة القصر، ولا سيما القصر السياقي والترتيبي، لضبط مفهوم قيام الساعة وربطه بعلامات محددة لا تقبل الزيادة ولا التقديم والتأخير في الفهم العام. وبذلك يحقق الخطاب النبوي غايته في الجمع بين البيان، والتصحيح، ومنع الانزلاق إلى التأويلات المتعجلة.

#### 5- الحديث:

عن أبي هريرة؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود. فيقتلهم المسلمون. حتى يحتبئ اليهود من وراء الحجر والشجر. فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي. فتعال فاقتله. إلا الغرقد. فإنه من شجر اليهود".<sup>9</sup>

#### الخصائص البلاغية والفنية للجملة في الحديث:

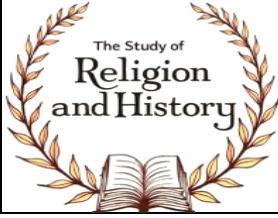
يُعد هذا الحديث نموذجاً بارزاً للأسلوب الإنشائي الذي يدمج بين البيان والخبر والإنشاء النذري، مع توظيف دقيق لعناصر القصر والتوكيد، بالإضافة إلى استعمال صور بلاغية ذات دلالات رمزية واضحة.

أولاً، يتضح من بداية الحديث استخدام أسلوب الإنشاء النفي مع أداة القصر في العبارة "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود". هذه الجملة تركيب ناهٍ منفي مع دلالة قصر، تعني أن قيام الساعة غير ممكن إلا بتحقيق الشرط المشار إليه، وهو القتال بين المسلمين واليهود. إن استخدام "لا... حتى" يفرض تأكيداً حصرياً على زمن وقوع الحدث، فلا تقوم الساعة إلا بعد هذا القتال. هذا الأسلوب يعكس قوة في التعبير تجعله أداة فعالة للتوكيد والتحديد الزمني.

ثانياً، الجمل التالية "فيقتلهم المسلمون حتى يحتبئ اليهود من وراء الحجر والشجر". تحمل طابع الخبرية التصاعديّة، إذ تتوالى الأحداث في تسلسل منطقي يصور اشتداد الصراع، من القتال المباشر إلى لجوء اليهود إلى الاختباء، مما يزيد من وقع الحدث ويدعم المعنى الإنشائي.

ثالثاً، الجمل التالية "فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي. فتعال فاقتله". تتخذ أسلوب الإنشاء التحذيري، وتستعمل الحوار المجازي بين العناصر الطبيعية (الحجر والشجر) والإنسان، مما يضيف على النص بعداً بلاغياً متميزاً يتضمن تجسيد الطبيعة في حالة عداوة ومكاشفة، وهو أسلوب فني يُعرف بـ"التشخيص" أو "التحريك". هذه الصور البلاغية تضفي حيوية للنص، وتثير مشاعر القارئ أو السامع بوضوح ودرامية.

رابعاً، الاستثناء في نهاية الحديث "إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود". يُبرز دقة في صياغة القصر اللغوي، إذ تُستثنى شجرة الغرقد من الكلام السابق، مما يشير إلى خصوصية وحصانة هذه الشجرة في سياق الصراع، وهو تعبير دقيق يتطلب انتباهاً خاصاً لفهم مغزاه. استخدام "إلا" هنا بمثابة أداة استثناء تقوي المعنى وتحدد نطاق الكلام بدقة.



خامساً، الحديث يحمل تأكيداً من خلال التكرار والتتابع في سرد الأحداث، وهو ما يعزز من درجة اليقين والوجوب في وقوع هذه الأحداث قبل قيام الساعة، مما يضع النص في خانة الأساليب الإنشائية المؤكدة، مع مراعاة وجود أجزاء خبرية تسرد الوقائع بشكل سردي.

وأخيراً، الحديث يستخدم تراكيب لغوية متسقة ومتناسقة، تجمع بين الإنشاء والخبر، مع توظيف أدوات القصر والاستثناء، إضافة إلى الصور البلاغية التي تعزز من دقة التعبير ووقعه النفسي، بما يتلاءم مع مقاصد البلاغة في الإفهام والتأثير.

#### 6- الحديث:

روى حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لأننا أعلم بما مع الدجال منه. معه نهران يجريان. أحدهما، رأى العين، ماء أبيض. والآخر، رأى العين، نار تأجج. فإذا أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض. ثم ليطأطأ رأسه فيشرب منه. فإنه ماء بارد. وإن الدجال ممسوح العين. عليها ظفرة غليظة. مكتوب بين عينيه كافر. يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب"<sup>10</sup>.

#### الخصائص البلاغية والفنية للجملة في الحديث:

يتضح من هذا النص الإخباري امتزاج بين أسلوب الخبر وأسلوب الإنشاء، مع حضور دقيق لمظاهر التأكيد والوضوح، يأتي تحليله على النحو التالي:

أولاً، تبدأ الجملة بـ\* "لأننا أعلم بما مع الدجال منه" وهي جملة إنشائية واضحة التعبير عن المعرفة اليقينية للنبي صلى الله عليه وسلم بحقائق الأمر، حيث تبدأ بـ"ل" التوكيد، مما يعطي الجملة قوة في التأكيد ويغلب عليها أسلوب الإنشاء التأكيدي.

ثانياً، تتوالى الجمل في سرد معلومات وصفية حول الدجال ونهره، مثل: "معه نهران يجريان. أحدهما، رأى العين، ماء أبيض. والآخر، رأى العين، نار تأجج". هذه جمل خبرية تقدم وصفاً دقيقاً وموصوفاً بواقعية، مع استخدام أسلوب الحصر في التفصيل، إذ يتم تفصيل النهرين وصفهما بالعين المجردة (رأى العين)، مما يعزز من التصوير الحسي ويجعل الصورة واضحة للمتلقي.

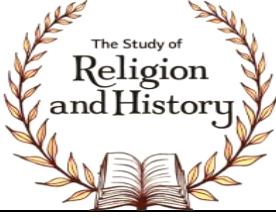
ثالثاً، يظهر أسلوب الإنشاء في الأمر والنهي في جملة: "فإذا أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض. ثم ليطأطأ رأسه فيشرب منه". حيث يستخدم الفعل المضارع المجزوم "ليأت" و"ليغمض" و"ليطأطأ" لتوجيه تعليمات واضحة، وهو أسلوب إنشائي ينم عن إرادة وتوجيه للنفس أو للمتلقي. هذا الأسلوب يضيف على النص صبغة عملية وحيوية، ويعزز من جديته وأهميته.

رابعاً، في قوله: "فإنه ماء بارد". جملة خبرية تؤكد طبيعة الماء المتناقدة مع المظهر الخارجي للنار، مما يحمل تناقضاً تصويرياً بارعاً، ويعبر عن حقيقة عميقة وراء المظاهر.

خامساً، في وصف الدجال ذاته: "إن الدجال ممسوح العين. عليها ظفرة غليظة. مكتوب بين عينيه كافر". هذه جمل خبرية تحتوي على أوصاف تفصيلية دقيقة، تستخدم الصور التصويرية مثل "ممسوح العين" و"ظفرة غليظة" لوصف الحالة الجسمانية، كما يحتوي الوصف على معلومة رمزية ذات دلالة قوية "مكتوب بين عينيه كافر"، وهذه العبارة توضح وضوح العلامة المعروفة لدى المؤمنين.

سادساً، في قوله: "يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب". جملة خبرية تعبر عن قدرة المؤمنين على التمييز والاعتراف بهذه العلامة، بصرف النظر عن مستوى تعليمهم، وهو تعميم يضيف على الحديث بعداً اجتماعياً إنسانياً.

أما فيما يتعلق بلغة القصر، فهي غائبة تماماً في هذا الحديث؛ إذ لا يوجد فيه تركيب نحوي يدل على التقيد بحد معين أو شرط مقيد بزمان أو ظرف كما في بعض الأحاديث الأخرى.



من ناحية التأكيد، استخدم الحديث أدوات توكيد متعددة مثل "لا" في بداية الحديث، والأسلوب الإنشائي في الأمر، إضافة إلى التفاصيل الدقيقة التي تخلق صورة واضحة ومتناسقة، مما يعزز من مصداقية الحديث ويجعله واضحاً في ذهن السامع أو القارئ.

**الخلاصة:**

بعد دراسة عدد من أحاديث الفتن وتحليل خصائص الجملة فيها، يتبين أن الجملة النبوية ليست مجرد تركيب لغوي يؤدي معنى مباشراً، بل هي بناء بلاغي متكامل تتداخل فيه عناصر الخبر والإنشاء، ويتكامل فيه التوكيد مع القصر والتكرار لتحقيق أعلى درجات التأثير والإقناع. وقد كشفت الدراسة أن النبي صلى الله عليه وسلم يوظف الجمل الخبرية لترسيخ الحقائق الغيبية والسنن الإلهية، ويستخدم الجمل الإنشائية للتوجيه والتحذير وإثارة الانتباه، مع تنوع دقيق في الأساليب بحسب المقام والمقصد. كما ظهر أن أدوات التوكيد والقصر تؤدي دوراً محورياً في تثبيت المعاني وإزالة الشك، وإبراز الأولويات الشرعية في أوقات الفتن. وتؤكد هذه الدراسة أن بلاغة الجملة في الحديث النبوي تمثل وجهاً من وجوه الإعجاز البياني للسنة المطهرة، وتستحق مزيداً من البحث والتأمل.

#### النتائج:

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. أن الجملة النبوية تتميز بإحكام تركيبها ودقة بلاغية عالية تخدم المقصد الشرعي والتربوي .
2. أن الجمل الخبرية هي الأسلوب الغالب في أحاديث الفتن نظراً لطبيعة الموضوع القائم على الإخبار بالغييب والتحذير من المستقبل .
3. أن الجمل الإنشائية تُستخدم بفاعلية في التوجيه العملي والتنبيه والإرشاد .
4. أن وسائل التوكيد مثل (إن، اللام، التكرار) تؤدي دوراً أساسياً في ترسيخ المعاني وإزالة الشكوك .
5. أن بلاغة القصر تُستخدم لتحديد المعاني وضبط الفهم ومنع التوسع الخاطئ في التأويل .
6. أن التكامل بين البناء التركيبي للجملة والمقصد البلاغي يعكس جانباً من الإعجاز البياني في السنة النبوية.

#### الهوامش

- 1- صحيح مسلم "أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (206 - 261 هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة رقم الحديث: 2887.
- 2 - شرح المفصل، يعيش بن يعيش بن علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2001م، 4/526.
- 3 - البقرة: 137
- 4 - التوبة: 71
- 5 - البرهان، الزركشي، تحقيق، أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث القاهرة، ص: 567.
- 6 صحيح مسلم، 4/ 2215 ت عبد الباقي، رقم الحديث، 2889
- 7 - صحيح مسلم، 4/ 2226 ت عبد الباقي، رقم الحديث، 2899
- 8 - صحيح مسلم، 4/ 2226 ت عبد الباقي، رقم الحديث، 2901
- 9 - صحيح مسلم، 4/ 2239 ت عبد الباقي، رقم الحديث، 2922
- 10 - صحيح مسلم، 4/ 2249 ت عبد الباقي، رقم الحديث، 2934